الدور الحجاجي للتشبيه وأثره في الإقناع في أحاديث الترغيب والترهيب "للمنذري"

إعداد

عبدالله عمر مطاوع عمر

باحث دكتوراه بكلية الآداب قسم اللغة العربية

إميل : Abdallahomaer@gmail.com

تلفون: ٠١١٥٠٧٥٧٨٦٦

الملخص:

في هذا البحث تناول الباحث الدور الحجاجي للصورة التشبيه، وأثره في نجاح العملية الإقناع ، في الخطاب النبوي الشريف ، وذلك من خلال أحاديث الترغيب والترهيب " للمنذري" ، وكيف استطاع النبي – صلى الله عليه وسلم – بأسلوب حجاجيٍّ بديع ؛ توظيف الصورة التشبيهية والتمثيلية داخل النص الخطابي ، مما كان يخدم العملية الإقناعية ، ويؤدي بالمتلقي إلى الإقناع الراسخ بالفكرة المطروحة عليه .

كما قام الباحث بعمل مسحة جادَّة لكتاب الترغيب والترهيب للإمام زكي الدين المنذري ، متتبِّعًا فيها ظاهرة التشبيه في الكتاب ، مما أدَّى للوقوف على أن التشبيه قد ورد التعبير بأسلوب التشبيه والتمثيل في أحاديث الترغيب والترهيب "للمنذري" في نحو: مائتين وثلاثة عشر موضعًا تقريبًا، استفاد البيان النبوي الشريف من التشبيه ومن قيمته التعبيرية العالية ، واستطاع النبي – صلى الله عليه وسلم – اتخاذه وسيلة فعَّالةً في دعم العملية الحجاجية ، من حيث الاقناع والتأثير في نفوس الآخرين .

Summary:

In this research, the researcher dealt with the Hajji role of the simile image, and its impact on the success of the process of persuasion, in the honorable prophetic discourse, through the hadiths of encouragement and intimidation by Al-Mundhiri, and how the Prophet - may God's prayers and peace be upon him - was able to use a wonderful method of Hajj; Employing the simile and representational image within the rhetorical text, which served the persuasive process, and lead the recipient to firm persuasion of the idea presented to him.

The researcher also made a serious survey of Imam Zaki Al-Din Al-Mundhiri's book, "Targheeb wa'l-Tarheeb", following the phenomenon of simile in the book, which led to the fact that the simile was expressed by the method of simile and representation in the hadiths of "Targheeb wa'l-Tarhib" by "Al-Mundhiri" in approximately two hundred and thirteen places. The noble Prophet's statement of analogy and its high expressive value, and the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was able to take it as an effective means in supporting the argumentative process, in terms of persuasion and influencing the hearts of others.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمد ربي حمد الصابرين الشاكرين، فهو الأول بلا انتهاء، والآخر بلا ابتداء، الظاهر فما فوقه شيء، الباطن فما دونه شيء، كان حيث لا كان شيء وهو على كل شيء قدير ، ثم الصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ﷺ وبعد :

عندما ننظر إلى الصورة داخل النص ، نجدها تمثل عاملًا رئيسًا ومقومًا فنيًا، يميز الخطاب الحجاجيُّ عن غيره من أنواع الكلام الأخرى ، كما أنها تعد إحدى المحاور الأساسية ، التي ترتكز عليه العملية الحجاجية ، لا سيما عندما يوظفها المتكلم كوسيلة إقناعية ، فهي تنقل خطاب المتكلم ، من مستـــوى الكلام العادي إلى لغة مؤثرة ومثيرة لمشاعر الآخرين، ويتضح ذلك من خلال إظهار مقدرة المتكلم على توظيف مفردات اللغة توظيفًا إبداعيًا يُظهر جمال هذه الألفاظ .

وتعد الصورة في الخطاب الأدبي سواء أكان شعرًا أم نثرًا مكونًا أساسًا من مكوناته ، إذ إنها تعمل على إقناع المتلقي ÷ وذلك لأنها تتكئ في إنتاجها على أسلوب المجاز باعتباره انحرافًا عن اللغة المعيارية حيث إنها تأخذ بعض الدُّوال اللغوية مدلولات جديدة غير تلك التي اقترنت بها في أصل الوضع اللغوي ، وهي مدلولات جديدة تنتجها الصورة الشعرية التي يتم تشكلها من خلال فكر الشاعر ووجدانه، فهي الوسيط الأساس الذي يستكشف به الشاعر تجربته ويتفهمها كي يمنحها المعني والنظام × [١].

وتعد الصورة البيانية عنصرًا مهمًا من عناصر الإقناع ، التي يستعملها المتكلم في عملية إقناع المتلقي ، بالتأثير عليه ، واستمالة تفكيره ، نحو قضية معينة ، وذلك من خلال توظيف المتكلم للصورة البيانية توظيفًا حجاجيًا، حتى يصل المتكلم بالمتلقي إلى الاقتناع الراسخ ، بالقضية التي يعالجها المتكلم .

١- شعر حميد بن ثور الهلالي "دراسة أسلوبية" رسالة ماجستير ، ياسر عبد الحسيب رضوان ،جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص ١٧٤.

وفي هذا البحث يحاول الباحث الوقوف، على الدور الحجاجي للتشبيه، في الخطاب النبوي الشريف ، من خلال كتاب الترغيب والترهيب للإمام زكي الدين المنذري، وكيف وظفها النبي – ﷺ – توظيفًا صحيحًا يُسهم في عملية الحجاج ويكون ركنًا ركينًا في نجاح العملية الإقناع .

الدور الحجاجي للتشبيه وأثره في الإقناع في أحاديث الترغيب والترهيب " للمنذري"

يعد التشبيه أحد الوسائل البيانية التي يتوسل بها المتكلم ، للوصول إلى أهدافه الحجاجية ، ويكون ذلك ÷ بعقد صلة بين صورتيـــــن ، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه × [١] ، وهذا ما أشار إليه الجرجاني حيث قال : ÷ واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو بَرَزَتْ هي باختصار في معرِضه ، ونُقلت عن صورها الأصلية ، إلى صورة كساها أُهبةً ، ورفع من أقدارها، وضاعف قُواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلـــــــوب إليها، فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم وكسبها منقبة ، وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر× [٢] . وبهذا يكون التمثيل عند الجرجاني ، أحد الأساليب الحجاجية التي يستخدمها المرسل في الاحتجاج ، فيزيد ويلبس المعاني حُلل الجمال ، فيقوي سلطانها على النفوس ، فتملك العقول ، وإن كانت هذه المعاني تحمل حجاجًا كان برهانه أكثر إقناعًا وتأثيرًا في نفوس المستقبلين .

ويشير السيوطي إلى أن التمثيل والتشبيه من الأساليب الإقناعية ، التي تجعل المعاني ترسخ في النفوس ، وتكون أقوى في العملية الحجاجية ، مما يجعل المتلقي يصل إلى الاقتناع الراسخ ، فيقول السيوطي كما جاء في المزهر: ÷ فبحبس الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ، ترصع المعاني في القلوب، وتلتصق بالصدور،

---

١ استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص ٤٩٧، بدون طبعة.

٢ – أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص١١٥.

وتزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة والتشبيهات المجازية " (١) ، والتمثيل يشكل أداةً حجاجيةً ؛ لأنه يقوم بإبراز تشابه العلاقات ، وإن كان مصدرها من مجالات مختلفة ، كقول الله -ﷻ - ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(٢)(٣).

ويؤكد ذلك ابن الأثير عندما حدد أهداف التشبيه أنها : ÷ إثبات الخيال في النفس، بصورة المشبه به، أو بمعناه، وذلك أكد في صرفي الترغيب فيه أو التنفير منه ×(٤)، ويعرف (برلمان) التمثيل بقوله : " هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة ، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائمًا ، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة " (٥) .

ومن هنا يتبين أن للتشبيه أو التمثيل تقنيةً خاصةً في العملية الحجاجية، عند البلاغيين القدامى ، والغرب المحدثين ، والذي يَهُمُّ في هذا الباب هــو محاولة دراسة التشبيه والتمثيل في الحديث الشريف، كتقنية حجاجية ، لها دورها وفاعليتها في الإقناع ، فإن الذي يوفره التشبيه من قوة حجاجية يكون قادرًا على إثارة المتلقي وشغل تفكيره ، مما يجعله يبحث عن العلاقة التي تجمع بين صورة المشبه أو المشبه به ، وما تحدثه هذه العلاقة التصويرية من أثر فـــــي نفس المتلقي ، تكون حاملة له على الإقناع والقبول بتلك التشبيهات.

---

١ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط١ ١٩٩٨ م ، ص٣٨ــ٣٧ .

٢ – العنكبوت (٤١)

٣ – بلاغة الإقناع في المناظرة ، عبد اللطيف عادل، دار الأمان الرباط ، ط ١ ٢٠١٣م ص ٩٤ .

٤ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ،تح احمد حوفي و بدوي طبانه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٢ ج ٢ ، ص ١٢٣.

٥ – (perlman: traite de L'argumentation, p50. نقلا من إيمان درنوني ، الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء نموذجًا رسالة ماجستير ٢٠١٢ – ٢٠١٣ م) مرجع سابق .

يقول د/ محمد على حسين الصغير عن مهمة التشبيه داخل الخطاب : " فهي تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيًا ، ومن ثم فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أُخرى على النحو الذي يريده المصور، فإن أراد صورةً متناهيةً في الجمال والأناقة شبّه الشيءَ بما هو أرجح منه حسنًا ، وإن أراد صورةً متداعيةً في القبح والتفاهة شبَّه الشيءَ بما هو أردأ صفةً " (١) .

هذا وإن كان التشبيه والتمثيل يدوران حول شيء واحد، وهو إلحاق شيء بشيء في صفة معينه وبطريقة معينه إلا أن هناك فرقًا بين التمثيل والتشبيه فـ" التمثيل : هو ما كان الوجه فيه دقيقا لا يدركه ولا يفطن إليه إلا أصحاب الأذواق السليمة، الذين ارتفعوا عن طبقة العامة.

وهذا يتحقق في :

- ما كان وجه التشبيه فيه مفردًا عقليًا غير غريزي .
- ما كان وجه التشبيه فيه مركبًا عقليًا.
- ما كان وجه التشبيه فيه مركبًا حسيًا.

أما التشبيه : ما كان وجه التشبيه فيه واضحًا بيّنًا لا يحتاج إلى إعمال فكر وهذا يتحقق في :

- ما كان وجه التشبيه فيه مفردًا حسيًا.
- ما كان وجه التشبيه فيه عقليًا حقيقيًا. (٢)

وقد ورد التعبير بأسلوب التشبيه والتمثيل في أحاديث الترغيب والترهيب "**للمنذري**"، استفاد البيان النبوي الشريف من التشبيه ومن قيمته التعبيرية العالية ،

---

١ – أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : د. محمد حسين علي الصغير ، طـ ، ٩٩٩١ م ، دار المؤرخ
لعربي ، بيروت لبنان ص ٨٧

٢ – الخطاب الحجاجي في صحيح البخاري ، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خضير بسكرة عام ٢٠١٦م، إعداد / أبو بكر زروقي ص١٣٥ – ١٣٦

واستطاع النبي – ﷺ – اتخاذه وسيلة فعَّالةً في دعم العملية الحجاجية ، من حيث الاقناع والتأثير في نفوس الآخرين ، **ومن الشواهد ذلك في أحاديث الترغيب والترهيب " للمنذري " :**

– قوله ﷺ : ﴿ عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجَّة(١) ريحها طيِّب، وطعمها طيِّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التَّمرة لا ريح لها، وطعمها طيِّب، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الرَّيحانة ريحها طيِّب، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌّ، ولا ريح لها ﴾ (٢) .

هذا الخطاب النبوي الشريف الرائع الذي يضرب فيه النبي – ﷺ – مثلًا للذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأه ، وقد جاءت الاصورة مركبةً يقول ابن الأثير: ÷ وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب ، إذ أن النبي – ﷺ – شبه المؤمن القارئ المتصف بصفتين ، هما الإيمان والقراءة ، بالأترجة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح ، وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير القارئ × (٣) .

وقد ربط الطعم في الحالات الأربعة ، بصفة الإيمان رُبط بقراءة القرآن ، وهذا الربط آلية من آليات الحجاج ؛ لأن هذا التمثيل مكِّن من إبداع علاقات جديدة بين الطُّعم والإيمان ، وبين الرائحة وتلاوة القرآن ، وهذا الابتكار الجديد يُلبس التصوير ثوبًا جديدًا لم يعهده المتلقي آنذاك يقول بيرلمان: « يلعب التمثيل دورًا في

---

١ – شجر من فصيلة البرتقاليات يعطي ثمر أكبر من اليمون لا يؤكل، يصنع من قشرة مربى، عصيره يعرف بالكبّاد وتفاح العجم .

٢ – الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) تح/ إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ حديث رقم (٢١٩١) ج-٢ ص- ٢٢٧.

٣ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، ج- ٢، ص- ١٤٠.

الابتكار والتدليل والحجاج، عبر عمليات التطوير والتمديد التي يسمح بها ، لكن أين يجب التوقف عن هذا التطوير؟ فاعتباره عنصَر ابتكارٍ يمكن تمديده دون تحديد ، لكن من أجل الحفاظ على قيمته ، هناك حدود لا يمكن تجاوزها» (١) .

ويكمن الدور الحجاجي لهذا التشبيه التمثيلي ، في هذا التقسيم المبني على موقف الإنسان من تلاوة القرآن ، فالمؤمن حلو على كل حال ، ولكن يجمع مع الحلاوة ريحًا طيبًا ؛ إن كان قارئًا لكتاب الله تعالى ، والمنافق مُرٌّ الطعم على كل حال ، ولكن يجمع مع المرارة ريحًا طيبًا ؛ إن كان قارئًا للقرآن الكريم ، وبهذا يكون النبي – ﷺ – قد قسم الناس إلى أربعة أقسام :

الأول – المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل بما فيه فهو في أعلى المنازل ، وقد شبهه النبي – ﷺ – بالأترجة ، وهي الطيبة ذات الريح العاطر الذي ينعش النفس وتريح القلب بحلاوتها وطيبها ، وقوله – ﷺ – (ريحاها طيب وطعمها طيب) يحمل بعدًا حجاجيًا فيه إشارة إلى بلوغ درجة الكمال في طيب الباطن والظاهر.

الثاني – المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ، ولكنه مؤمن ومصدق بما فيه ، فهو ناقص الإيمان ، لذلك ضرب له النبي – ﷺ – مثلًا بالثمرة في طيب الباطن ؛ لوجود الإيمان فيه ، ودون الظاهر لهجره تلاوة القرآن ، فالباطن جميل طيب يشبه الثمر، وأما الظاهر ، وهو طيب الرائحة فهو مفقود ؛ لأن الثمر غالبًا لا ريح فيها ولا يعرف ما في باطنها من حلاوة وعدمها إلا بالتذوق .

الثالث – الفاجر الذي يقرأ القرآن الكريم ، ولكنه لا يعمل بما فيه وهو ضال عن طريق هداه ، وهذا يُشبِّهه النبي – ﷺ – بالريحانة في طيب الظاهر وفساد الباطن ، فالريحانة ريحها طيب ، وهو ظاهر تلاوة القرآن ، لكن طعمها مرٌّ علقم ، وهذه

---

١ – الصلة بين التمثيل ولاستنباط، بناصر البعزاتي، مقال ضمن كتاب (التحاجج: طبيعته– مجالاته – وظائفه)، منشورات كلية الآداء والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٣٤، جامعة محمد الخامس، الرباط– المغرب، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٢٩– ٣٠ .

المرارة إنما جاءت لفساد الباطن بالفجور والجرأة على حدود الله بالمعاصي الذي يخفيها ويُبدي خلافها ، وهذا هو النفاق وسوء المعتقد ، ولقد ورد هذا الحديث برواية ذكر فيها لفظة (المنافق) بدل (الفاجر) ، ووصف الفاجر أو المنافق بالريحانة في هذا الحديث لا يكون مدحًا أبدًا ؛ بل هو ذم للفاجر أو المنافق ؛ لذا ذكر باسم الفاجر ، وفي الرواية الأخرى باسم المنافق .

الرابع – الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ، ولا يعمل بما فيه فهو أقل وأحطُّ المنازل ، وقد شبهه النبي – ﷺ – بالحنظلة ؛ وذلك في خبث ظاهرها وفساد باطنها، فالحنظلة ريحها خبيث كريه وطعمها مرٌّ لا يُطاق وهذا هو البعيد عن الله ﷻ .

ويتجلى الدور الحجاجي للصورة الكلية لهذا الشبيه التمثيلي الرائع من النبي الكريم – ﷺ – ليصل بالعقول إلى الاقناع الراسخ بالهدف المنشود وهو تلاوة القرآن الكريم ، ليبقى قلب المؤمن مستنيرًا بنور الله مسترشدًا بهدي كتابه الكريم الذي قال فيه : ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا** هَٰذَا **الْقُرْآنَ** عَلَىٰ **جَبَلٍ** لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

وهذا التشبيه مشتق من البيئة المحيطة « وهذه الصورة معتمدة على معرفة بأنواع النباتات والثمار الموجودة في البيئة العربية وهي تساعد على مزيد من التذوق والفهم لحلة كل من المؤمن والمنافق» (٢) .

ومن شواهد قوله ﷺ : **عَن أبي بَرزَة – ﷺ – قَالَ: قَالَ رَسُول الله – ﷺ – مثل الَّذِي يعلم النَّاس الْخَيْر ، وينسى نَفسه مثل الفتيلة تضيء على النَّاس وَتحرق نَفسهَا** (٣) .

---

١ – الحشر: آية (٢١)

٢ – التصوير الفني في الحديث النبوي ، محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان . ١٩٨١م ، ص ٨١.

٣ – الترغيب والترهيب حديث رقم (١١) ج١ ص ٧٤.

كان النَّبيُّ – ﷺ – يرشد النَّاس إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ، ويحذرهم من كل ما يضرهم ويؤدي بهم إلى النَّار، وفي هذا الحديث الشريف يرسم النبي صورة تشبيهية ممتدة من واقع المجتمع ، وهذا آكد في العملية الإقناعية ، وقد جاءت الصورة التشبيهية في هذا الحديث تحمل دورًا حجاجيًا فعّالًا يحمل المتلقي للإقناع والعمل حملًا ، فيرسم الرسول الكريم – ﷺ – صورة ينقل المخاطبين فيها من صورة خيالية إلى صورة حسية مشاهدة ، ومعروفة لدى الجميع وهذا مما يميز المجازات النبوية والقرآنية ، إذ إن المجاز القرآني والنبوي يختلف عن المجازات ، من غير هذين المصدرين من كلام البشر ؛ فالمجاز القرآني والنبوي يكون مبنيًا على الحقيقة ؛ أي له أصلًا في واقع الحياة تعرفه الناس ، أما المجاز في غير ذلك من الشعر وغيره فيكون مبنيًا على الخيال ، الذي لا وجود له في أرض الواقع ، فالشاعر دعبل الخزاعي ، مثلًا الذي عبر عن كِبَر سنه وظهور الشيب في رأسه بقوله:

" لا تعجبي يا سلم من رجل ***ضحك المشيب برأسه فبكى "

هذا خيالٌ لا حقيقة في الواقع ، إذ يستحيل على الشيب أن يضحك حقيقة أو يبكي ، وهذا بخلاف التعبير القرآني الذي عبر عن المعنى نفسه في قوله تعالى على لسان زكريا – عليه السلام – ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(١) ، هذا مجاز مبنيٌ على حقيقة ؛ إذ وجدت أبحاث غربية تقول إن الإنسان في سنٍّ معية عند كبر سِنِهِ يُفرز مادة تحرق الشعر الانسان وتغير لونه إلى البياض ، نقل عبد الديم الكحيل عن مجلة أمريكية " في بحث نشرته مجلة ASEB الأمريكية Federation of the American Societies for Experimental Biology صرح البروفيسور هاينز ديكر من معهد الفيزياء الحيوية التابع لجامعة يوهانس جوتنبيرغ أن البحث الذي شارك فيه باحثون من جامعة برادفورد في بريطانيا تعرَّف ولأول مرة على آلية شيب الشعر أو تحوله إلى

١ – مريم ، آية رقم (٤).

اللون الأبيض، وكان سائل بيروكسيد الهيدروجين المعروف بوصفه مادة مبيّضة للشعر نقطة بداية البحث. حيث اكتشف فريق البحث أن هذه المادة تزداد وتتضاعف مع تقدم الإنسان في العمر ، وتراجع كفاءة جسمه بشكل يؤدي إلى صعوبة تحويلها إلى ماء وأكسجين، وهو ما يؤدي بدوره إلى منع تكون مادة الميلانين التي تنتجها الخلايا الصبغية ، الجدير ذكره أن هذه المادة تشكل مصدر ألوان الشعر والعين والجلد " (١) ، والأمثلة في القرآن والسنة على هذا كثيرة جدًا لمن عقد مقارنة بين مجازات القرآن والسنة ، ومجازات غيرهما من كلام البشر.

يقول د/ عزالدين علي السيد عن التشبيه في البيان النبوي : " لم يكن ينتزع عن التخيل والتوهم الذي قد يسبح فيه المبدعون، وإنما ينزع من الحقيقة الشاخصة أمام البصائر الثاقبة حجب الكون المحيط ، والتي تزيدها الغفلة كثافة ، والاشتغال بزخرف الحياة الدنيا تراكبًا وتراكمًا(٢) ، فهي تشبيهات « تبدو للسامع غريبة مع أنها من بيئته ، التي يعيش فيها فيه منتقاة من عناصر الكون ، ومن جنس ما يعرفه الإنسان ، فأخرجت من المتضادين شبهًا ، وأحدثت بين النقيضين ألفًا ، وجمعت بين المتباعدين في المعنى» (٣).

فيصور النبي – ﷺ – حال العالم الذي يعلِّم الناس ما ينفعهم من أمور دينهم ويهديهم في دينهم ودنياهم بتعليمهم الشَّريعة ، وهو علم الكتاب والسنة ، من حلال وحرام وغير ذلك ، وينسى نفسه ويُهملها ولا يحملها على العمل بما علمت ، فمثله

---

١ – موقع ، أسرار الإعجاز العلمي ، أبحاث ومقالات عبد الدايم الكحيل ، http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-17-58/820-2013-01-15-01-11-44 .

٢ – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د/ عز الدين علي السيد ، دار : اقرأ ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م. ص ١٤٣– ١٤٤ .

٣ – دراسة أساليب التوكيد في أحاديث الترغيب والترهيب ، إبراهيم أحمد مصطفى تعلبه، ص ٢٩٥.

كمثل الفتيلة ، أي: المصباح ، يضيءُ للنَّاس فينتفع الناس بضوء هذا المصباح في الليل والظلام ، وهو حال من يهتدي النَّاس بعلمه عن الضَّلال والانحراف .

ويكمن الدور الحجاجي هنا بوضوح في قوله – ﷺ – (ويُحرقُ نَفسَه) ، وهذا فيه وعيد لهذا العالم بأنه بعدم عمله بما أمر الناس به يحرم نفسه الخير في الدنيا والآخرة ؛ وذلك ببذله الجهود الكبيرة من سهر وجمع للعلم في الدنيا ، وفي الآخرة يحرق نفسه ، والمعنى: أنَّ هذه الفتيلة أو هذا السِّراج والمصباح لا ينتفعُ بشيءٍ ممَّا يُفيد به الناس ، بل إنَّ الضَّرر الواقع عليه أشد!، وهو تصويرٌ لمن يأمر ويوجهُ الناس بعلم لا يعمل هو به ، فالجزاء والوعيد واقع عليه ، ودليل ذلك من القرآن لكريم قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١) .

❁❁❁❁

١ – البقرة ، آية رقم (٤٤) .

الخـــــاتمـــــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي الكريم، وعلى آله وصحبه ومن نهج منهجه إلى يوم الدين، وبعد:

إن اكتمال العمل لا يتمُّ إلا على ضوء ما قُدِّم من حقائق وما أُفْرِد من نتائج، ويمكن الإشارة إلى بعض تلك العناصر في النقاط التي ظلّت تنمو منذ بداية الدراسة حتى نهايتها إلى أن اكتملت في النتائج الآتية :

١. إن النبي ﷺ كان حجاجيًّا من الطراز الأول ؛ حيث استطاع بأسلوبه الحكيم ، والميسر الواضح ، أن يوظف الآليات الحجاجية توظيفًا رائعًا ، حمل المتلقي حملًا إلى الإقناع الراسخ بما يُلقيه .
٢. لقد تجلى الحجاج في أحاديث الترغيب والترهيب ، من خلال استخدام النبي ﷺ للأساليب البلاغية ، وتوظيفها توظيفًا حجاجيًا يخدم عملية الإقناع .
٣. إن الأسلوب النبوي الحكيم له دور فعَّال وواضح في تقوية الدور الحجاجي وتحقيق الإقناع والتأثير؛ وذلك من خلال استخدام الأساليب البلاغية المتعددة في الحديث الواحد.
٤. أظهرت الدراسة أن حجاجية الأساليب البلاغية هدفت في استخدامها إلى الوصول إلى الإقناع والتأثير السلوكي على المتلقي .
٥. إن المجاز في الوحيين – القرآن الكريم ، والسنة المطهرة – يمتدُّ من الحقيقة والوقع ، لا من الخيال والوهم .
٦. إن استخدام الحجاج في الحديث الشريف كان إضافة نوعية لها أثر كبير في إقناع المتلقي بطريقة سهلة ليس فيها تعقيد .
٧. أثبتت الدراسة البلاغية الحجاجية إمكانية تطبيق النظرية الحديثة ، على نصوص أحاديث الترغيب والترهيب ، من خلال استخدام الوسائل والآليات الحجاجية بشتى أنواعها .

المصادر والمراجع

١- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) تح/ إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ

٢- شعر حميد بن ثور الهلالي "دراسة أسلوبية" رسالة ماجستير ، ياسر عبد الحسيب رضوان ،جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣م .

٣- الخطاب الحجاجي في صحيح البخاري ، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خضير بسكرة عام ٢٠١٦م، إعداد / أبو بكر زروقي .

٤- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : د. محمد حسين علي الصغير ، ط ، ٩٩٩١ م ، دار المؤرخ العربي ، بيروت لبنان.

٥- بلاغة الإقناع في المناظرة ، عبد اللطيف عادل، دار الأمان الرباط ، ط ١ ٢٠١٣م.

٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق، احمد حوفي و بدوي طبانه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، طـ٢ .

٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان طـ١ ١٩٩٨ م .

٨- التصوير الفني في الحديث النبوي ، محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان . ١٩٨١م .

٩- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم ، الفاضل، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

١٠- علم المعاني ، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، ج ١ص ١٧٧، وخصائص التراكيب ، د، محمد محمد أبو موسى.

١١- المغني في تصريف الأفعال ، أ/ محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، دار الحديث ، ط – ٣ ، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢ م .